منهج التعايش السلمي في القرآن الكريم والكتاب المقدس

- دراسة وصفية تحليلية -

The Method of Peaceful Coexistence in Holy Quran and Bible - An Analytical and Descriptive Study -

الباحث:

أ.م.د.سعدي محمد عواد الفهداوي

Reserchер:

Assist.Pro.Dr.Saadi M. Awad Al-Fahdawi

E.mail.sadyalawad@gmail.com

الكلمات المفتاحية: منهج، السلم، القرآن، التوراة، الانجيل، الاجتماعي.
Keywords: Method، Peace، Quran، Torah، Bible، Social.

الملخص

يمثل السلم الاجتماعي ركيزة هامة في بناء المجتمعات واستقرارها، وقد تضمن القرآن الكريم والكتاب المقدس مناهج احتوت أسسا لارساء السلم بين أفراد المجتمع، ونتيجة لما تمر به مجتمعاتنا من ازمات اجتماعية وأفكار شاذة هدفها تقويض السلم المجتمعي، لذا وجدت كباحث متخصص في علم الأديان أن هناك ضرورة لاظهار ما احتوته الكتب المقدسة من مناهج يمكن الاعتماد عليها في استعادة التوازن واعادة الأواصر بين أبناء مجتمعاتنا الى سابق عهدها، وأود أن أشير الى أني قد قدمت سابقا بحثا علميا بعنوان(صفوة البيان في العلاقة مع أهل الأديان)عرضت فيه منهج الاسلام في نظرته وتعامله مع غير المسلمين، وهذا البحث بين أيدينا اليوم هو اندفاع بالموضوع الى الأمام لبيان ما احتواه الكتاب المقدس بجانب القرآن الكريم، والغاية هي العودة الى جذورنا الدينية لاستكشاف ما فيها من معالجات لمشاكلنا التي نعيش تداعياتها المهددة لوحدة مجتمعاتنا واستقرارها.

تضمن البحث مقدمة ومبحثين وخاتمة ضمنتها استنتاجات وتوصيات، والمنهج الذي اتبعته في البحث هو(المنهج الوصفي التحليلي)والذي وجدته مناسبا لاعداد بحث علمي وفق شروط المشاركة في المؤتمر وتحديداتها، وبالنسبة للمصادر فقد اعتمدت على مصادر اسلامية وكتابية بحسب ما تستدعيه مفاصل البحث ومواضيعه.

أرجو أن يكون جهدي نافعا ومساهمة جادة في البحث العلمي في مجال مقارنة الأديان.

Abstract:

In fact، the social peace represents an important pillar in building and stabilizing societies. The Holy Quran and Bible outlined principles to establish peace among the society members، as a result of what our societies suffered from the social crises and irregular thoughts that aim to undermine the social peace. Being researcher in theology، I find it is necessary to expose what the holy books contained as reliable ways to restore balance and enhance ties of our societies as they were. Also I would like to clarify that I have presented a research which has connection of how the Islamic religion has treated non -Muslim people.

This study aims at showing how the Holy Quran and Bible urge people to live peacefully and remind us of our religious roots that include the urgent solutions to rebuild and stabilize our societies. The study also consists of an introduction، two sections، and conclusion. Many Islamic references have been used in this research to enhance the central part of this study.

المقدمة

الحمد لله خالق البشر من طين، خلقهم وهداهم الى أحسن السبل بارساله الأنبياء والمرسلين، له المنة والفضل والشكر مجتمعين. وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد ﷺ أفضل رسله وخيرة خلقه أجمعين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن سار على نهجهم واهتدى بهديهم الى يوم الدين.

وبعد:

ان من آيات الله تعالى في خلقه هو اختلافهم وتنوعهم في أجناسهم وألوانهم وعقائدهم وأفكارهم، ولله سبحانه وتعالى في ذلك شأن ارتضاه وقرره وهو القائل ﷻ ﴿وَلَو شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّة وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُختَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمۗ وَتَمَّت كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَملَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجمَعِينَ﴾ [1].

اذن الاختلاف بين البشر سنة ربانية مقررة ولا يمكن لبشر الغاؤها أو تجاوزها، ومن معالم هذا الاختلاف هو التدافع المفضي الى الصراع في كثير من الأحيان بين بني البشر في حياتهم، ومحاولة كل أمة الهيمنة أو الغلبة على الأخرى متى ما استمكنت ووجدت أن لديها مقومات ذلك، والتدافع في منهج القرآن محكوم بقواعد غايتها تحقيق التوازن وعدم التفرد في ادارة الأمم والجماعات المختلفة، لأن تعدد مراكز القوى يؤدي الى حالة من الاستقرار الاجتماعي هي أفضل من التفرد الذي من الممكن أن يؤدي الى الاستبداد والظلم، وكما نعيشه اليوم من تفرد أمريكي في قيادة العالم بما يتناسب مع مصالحها، قال تعالى: ((وَلَولَا دَفعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعضَهُم بِبَعض لَّهُدِّمَت صَوَامِعُ وَبِيَع وَصَلَوَات وَمَسَاجِدُ يُذكَرُ فِيهَا اسمُ اللَّهِ كَثِيراۗ))[2]، قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أي:لولا أن الله يدفع عن قوم بآخرين كما دفع عن بني اسرائيل بمقاتلة طالوت وشجاعة داود لهلكوا.[3]

وعندما جاءت رسالة الاسلام كان المجتمع يضم تنوعا دينيا، فهناك الكفار والمشركون وأهل الكتاب، ولذلك نجد أن خطاب القرآن الكريم في بداية التنزيل كان خطابا انسانيا شاملا غير محدد بالمسلمين أو المؤمنين برسالة الاسلام، قال تعالى: ﴿يا۟أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقنَكُم مِّن ذَكَر وَأُنثَىٰ وَجَعَلنَكُم شُعُوبا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللَّهِ أَتقَىٰكُم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير﴾[4].

مشكلة البحث: يعالج البحث قضية العلاقات الانسانية الشاملة في منظور القرآن الكريم والكتاب المقدس، ونحن نعيش في زمن انتشرت فيه كثير من الصراعات والنزاعات والحروب، وجدت أن هناك حاجة لاحياء المنهج الرباني الأصيل، في ارساء قواعد السلم المجتمعي، علَه يكون تذكرة ومساهمة في احياء معالم طبيعة العلاقات بحسب ما أمرنا الله تعالى به،

(١) سورة هود: ١١٩

(٢) سورة الحج:٤٠

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١، ص٥١٠

(٤) سورة الحجرات:١٣

لكي نسعد بحياتنا، ونعيش بأمان وألفة ومحبة.

أهمية البحث: تكمن أهميته في ضوء واقعنا المعاش المضطرب، بسبب انتشار مظاهر من الجهل والتخلف والغلو، اضافة الى كونه بحثا في علم مقارنة الأديان الذي نحن بحاجة ماسة الى تفعيله وتنشيطه، وتوسيع دائرته كي لا يكون حبيس الحوار بين المتخصصين، وليكون للمتخصصين دورهم في ارساء قيم الفضيلة في مجتمعاتنا.

منهجية البحث: سأتبع المنهج الوصفي التحليلي لما ورد من أسس ومباديء التعايش السلمي فيما بين الناس، وكما ورد في القرآن الكريم والكتاب المقدس، مع ايراد آراء وتعليقات مفسروها بحسب ما يقتضيه الموقف أو يستدعيه.

خطة البحث:

- المقدمة
- تمهيد

المبحث الأول: في معاني مصطلحات البحث، وفلسفة الدين والقانون الدولي في ارساء معالم السلم الاجتماعي. وفيه ثلاثة مطالب.

المبحث الثاني: منهج القرآن الكريم والكتاب المقدس في ارساء معالم التعايش السلمي الاجتماعي. وفيه ثلاثة مطالب.

- خاتمة.

أسأل الله تعالى أن يوفقني كي أقدم بحثا علميا يتناسب مع أهمية الموضوع، آملا أن ينال قبولكم ورضاكم.

والله تعالى نعم المولى ونعم النصير.

❋ ❋ ❋

المبحث الأول
معاني مصطلحات البحث وفلسفة الدين والقانون الدولي في ارساء معالم السلم الاجتماعي

المطلب الأول: تعريف مصطلحات عنوان البحث (منهج، التعايش، السلمي)

تعريف منهج لغة:منهج، فعله الثلاثي نَهَجَ: قَالَ اللَّيْث: طريقٌ نَهْج وطُرُقٌ نَهْجة، وَقد نَهَج الأمرُ وأَنهَج، لُغَتَانِ: إِذا وضح، ومِنهَج الطَّرِيق: وَضَحه، والمِنهاج: الطّريق الْوَاضِح.

وَيقال: اسْتَنْهج الطريقُ: صَار نهْجاً، وَيُقَال: نهجتُ لكَ الطريقَ وأَنهجْتُه، فَهُوَ مَنْهُوج ومُنهَج، وَهُوَ نَهْج، ومُنهَج.[1]

المنهج في الاصطلاح: أسلوب ومسلك ومذهب «طريقة علمية»: طريقة منظمة تقوم على جمع المعلومات بالملاحظة والتجريب وصياغة الفرضيات واختبارها.[2]

(١) تهذيب اللغة، الأزهري، باب النون مع الهاء والجيم، ج٦، ص٤١، وجمهرة اللغة، الأزهري، الباب(ج و ه) ج١، ص٤٩٨

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، د.أحمد مختار عبدالحميد

(التعايش في اللغة:يقال عاش يعيش عيشا ومعيشة وعيشة ومعيشا بغير هاء، وقال الليث:العيش:المطعم والمشرب وما يكون به الحياة، والمعيشة: اسم ما يعاش به، والعيشة:ضرب من العيش، يقال.عاش عيشة صدق، وعيشة سوء، وكل شيء يعاش به فهو معاش، والأرض معاش للخلق).[1]

التعايش اصطلاحا: مصدر بمعنى:عيش مشترك بين أقوام يختلفون مذهبا أو دينا، أو بين دول ذات مباديء مختلفة.[2]

السِلمي: السَّلْم والسِّلْم والسَّلَم، وَقد قُرئ على ثَلَاثَة أوجه والسِّلْم: ضد الْحَرْب، وَمِنْه اشتقاق السَّلامَة.[3]

ومصطلح التعايش السلمي كشعار سياسي يعني البديل عن العلاقة العدائية بين الدول ذات النظم الإجتماعية المختلفة، ومع هذا ليس هنالك أي مانع للتوسع في إستخدامه في ساحة العلاقات الإجتماعية بين أتباع الديانات المختلفة وبخاصة المقيمين في دولة واحدة.[4]

المطلب الثاني: فلسفة الدين في ارساء معالم السلم الاجتماعي

ان مباديء وأسس العلاقات بين بني البشر بحسب المنهج الرباني هي واحدة في أصلها، فالله سبحانه وتعالى خلق الخلق ولم يتركهم يعيشون على بناة أهوائهم، وما تدله عقولهم عليه، بل عزز ذلك بالوحي على ثلة طيبة مباركة من صفوة البشر اختارها من بينهم، ليكونوا رسلا اليهم مبشرين أتباعهم بالخير والبركة والسعادة في الدارين ان هم أطاعوا الله تعالى وتمسكوا بهديه، ومنذرين لهم من سوء العقاب و حلول العذاب ان هم تنكبوا لدعوته وأعرضوا عنها.

(وتميزت الرؤية الاسلامية ـ لمقومات الأمن الاجتماعي هذه بالارتفاع عن مكانة «الحقوق» الى مرتبة «الضرورات»و «الواجبات»...فلقد تميزت كذلك بالاطلاق والعموم في مفهومها»للانسان»!!..)[5].

وكان بناء المجتمع الفاضل هو أول مهام هؤلاء الرسل بل وأشقها عليهم، لأن دعوة الرسل تمثل انتقالا جذريا بكل المعايير (عقائديا، أخلاقيا، اجتماعيا) ولا بد من التأكيد على أن دين الله تعالى واحد وهو الاسلام، ولكن الشرائع متعددة، قال تعالى:(لِكُلّ جَعَلنَا مِنكُم شِرعَة وَمِنهَاجا وَلَو شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُم أُمَّة وَاحِدَة وَلَـٰكِن لِّيَبلُوَكُم فِى مَآ ءَاتَىٰكُمۖ) ۝ ، أي:سبيلا وسنة، والسنن مختلفة، هي التوراة شريعة، وفي الانجيل شريعة، وفي الفرقان

عمر ومعاونوه، الباب(ط ر ق)، ج٢، ص١٣٩٨

(١) ينظر:تهذيب اللغة (مصدر سابق)، باب(العين والشين من معتل العيش)، ج٣، ص٣٩

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة (مصدر سابق)، الباب(عيش)، ج٢، ص١٥٨٣

(٣) جمهرة اللغة، الأزهري، باب(سلم)، ج٢، ص٨٥٨

(٤) مشكلة الحرب والسلام: مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة وأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي، ترجمة: شوقى جلال وسعد رحمي ص٢١٠

(٥) الاسلام والأمن الاجتماعي، د.محمد عماره، ص٨٤

(٦) سورة المائدة:٤٨

شريعة، يحل الله فيها ما يشاء، ويحرم ما يشاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والدين الذي لا يقبل غيره التوحيد والاخلاص لله الذي جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام.[1]

وفي موضوع العلاقات الاجتماعية نجد أن القرآن الكريم والكتاب المقدس، قد احتوتا معالم العلاقات الاجتماعية الرشيدة، التي بوجودها ضمانة للعيش بأمن وسلام ومحبة، وسأعف عن ذكر أي نصوص توراتية في ثنايا البحث لا تتناسب مع المنهج الرباني المؤيد بالقرآن الكريم، لأن الخطورة تكمن فيها، بسبب تحريفها، وليِها عن دلالاتها الى مفاهيم بعيدة تماما عن أصل التوراة التي وصفها القرآن الكريم ب(النور)، قال تعالى:(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ)، والانجيل احتوى بين دفاته كثيرا من النصوص التي رسمت معالم القيم لارساء أسس السلم بين أفراد المجتمع، ووجودها جلي في أغلب نصوص ما تسمى ب(موعظة الجبل) والتي وردت في انجيلي متى ولوقا، والتي يعتبرها مفسروا الكتاب المقدس من النصارى قوام الشريعة التي جاء بها المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وشريعة الانجيل كانت اتماما واكمالا لشريعة التوراة، وكما صرح به المسيح عليه السلام في قول منسوب اليه ورد في انجيل متى اذ يقول:(لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء بل لأكمِّل. فاني الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل)[2].ومما ورد في تفسيرها(لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء بل لأكمل)،كان المسيح يتكلم عن طريقة جديدة لفهم شريعة الله، كان في الحقيقة يحاول أن يعود بالناس الى الهدف الأصلي من الشريعة، فهو لم يتكلم ضد الشريعة نفسها، ولكن ضد اساءة فهمها»تطبيقها»والى التجاوزات التي أخضعوها لها.[3]

وسنرى من خلال عرضنا المفصل لمواضيع البحث وعناوينه مزايا المنهج الرباني الذي يبقى هو الخيار الأفضل في ادارة الحياة، واليه العودة في الأزمات والملمات مهما حاول البشر ركنها خلف الظهور، ومحاولتهم تقزيم الدين ودوره في بناء المجتمع، وابقائه في اطار التعاطي الفكري المجرد، وحرمان المجتمعات المؤمنة من تفعيل القيم الربانية في حياتهم، واستبدالها بقيم وضعية مبتكرة بما اعتقدوا أنه مناسب لتطور الحياة وتعقيداتها.

(فاذا كانت الأمة ـ كما هو حال الاسلام ـ وهي الخاتمة والحاملة للشريعة الخالدة، والتي أراد الله تعالى لها خلود «الشهادة» و«الشهود»على العالمين، قال تعالى:(وَكَذَٰلِكَ جَعَلنَٰكُم أُمَّة وَسَطا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيداً)[4]، لذا فان السقوط لا يكون لمجموع الأمة وكامل الحضارة، لأن هذه الأمة ـ بنص حديث رسول

(١) تفسير القرآن العظيم، (مصدر سابق)، ج٣، ص١١٧

(٢) انجيل متى ٥: ١٧-١٨

(٣) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة المختصين واللاهوتيين، ص١٨٨٢

(٤) سورة البقرة:١٤٣

الله ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»[1]، وانما يكون السقوط للفئة والشريحة والقوم الذين يطوي الجور والترف مقومات جدارتهم بحمل رسالة الاسلام)[2]، قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَستَبدِل قَومًا غَيرَكُم ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمثَٰلَكُم﴾[3].

ذكر القرطبي في تفسيره (وسطا) أربع مسائل:أحدها، كما أن الكعبة وسط الأرض، كذلك جعلناكم وسطا، أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم، والوسط:العدل، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها، وفي التنزيل(قال أوسطهم)أي أعدلهم.[4]

ان تفعيل هذه القيم في حياة مجتمعاتنا يمثل تحديا لتيارات فكرية ظهرت الى الواقع حديثا، وأشيعت هذه التيارات مدعومة من الحكومات المؤثرة في حياتنا اليوم ـ أمريكا ومن خلفها الصهيونية العالمية ـ وأخطرها تياري العلمنة[5] والعولمة[6]، ومعروف أن العلمنة ظهرت في أوربا كرد فعل ضد الدين وصورته التي كانت عليها الكنيسة المسيحية خلال فترة القرون الوسطى، أما العولمة فهو تيار شامل لكافة جوانب الحياة تبنته أمريكا منذ نهاية القرن الماضي، وغايتها التسلط والهيمنة على باقي المجتمعات البشرية، وهذه الحكومات الخفية التي تدير شئون العالم استمكنت وفرضت نفوذها من خلال أساليب الهيمنة والتسلط، متخذة من الترغيب أو الترهيب وسيلة لإخضاع الضعفاء.

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير(١٨١٨)، وقال حديث حسن.
(٢) الاسلام والأمن الاجتماعي (مصدر سابق)، ص٦٧
(٣) سورة محمد:٣٨
(٤) ينظر:الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٢، ص١٥٣

(٥) «العلمنة» هي: (حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحده)ا. «انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص٤٤٥»، وفي تعريف آخر:العلمنة «الدنيوية» هى:(نظام أخلاقي أسس على مبادئ الأخلاق الطبيعية ومستقل عن الديانات السماوية أو القوى الخارقة للطبيعة.(انظر:الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د.علي جريشة، ص٧٥، والعلمانية في الاصطلاح هي:(دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وتعنى في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهى اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم والمذهب العلمي). «انظر:الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة مانع حماد الجهني، ص٣٦٧». والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو:فصل الدين عن الدولة.
(٦) العولمة G.of Globalization هي:(العملية التي تسعى لتحويل دول العالم الى جمهوريات موز في خدمة الامبراطورية الأمريكية، وذلك عن طرق المؤسسات الدولية مثل صندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة الحرة، والأمم المتحدة ان أمكن، وعن طريق القوة العسكرية عند اللزوم. أم بمفهومها الاقتصادي اليوم فهي تطور حتمي لطبيعة النظام الرأسمالي الغربي الذي تطور من اقتصاد محلي الى اقتصاد اقليمي، فاقتصاد وطني، وأخيرا الى اقتصاد العولمة هذه الأيام)).(انظر: ازمة نظام ـ الرأسمالية والعولمة في مأزق، د.عبدالحي زلوم، ص٣٨

المطلب الثالث: التعايش السلمي الاجتماعي في القانون الدولي

عندما تشكلت هيئة الأمم المتحدة بمنظماتها المتعددة، أخذت على عاتقها مسئولية تنظيم العلاقة بين المجتمعات البشرية فيما بينها، ووضعت القوانين التي يمكن اعتبارها دستورا أمميا حاكما لتلك العلاقة، ومرجعية يمكن العودة اليها في الحالات التي يتم التجاوز فيها على حقوق الأقليات، أو تهديد وجودها، الا أن هذا الاعلان قد أخضع لمعايير انتقائية، تتوافق مع مصالح الدول العظمى ذات النفوذ على المستوى الدولي.

وبحسب اعلان الأمم المتحدة فان مفهوم «أقلية» و «أغلبية»(حديثا العهد نسبيا في القانون الدولي، بالرغم من وجود الاختلافات بين المجتمعات المحلية على مر التاريخ، ومنحت بعض النظم السياسية حقوقا مجتمعية خاصة لأقلياتها، على الرغم من عدم استناد ذلك الى أي اعتراف ب»حقوق»للأقليات بهذا المعنى).[1]

ومن مواطن الخلل في تطبيق هذا الميثاق هو غض الطرف عن معانات كثير من الجاليات والأقليات المسلمة في كثير من دول العالم، وتعرضها الى الاضطهاد والعنف من قبل الحكومات والمجتمعات التي تشاركها الوجود في اطار المواطنة.

وقد تطور ذلك الاعلان كنتيجة حتمية بتطور هيئة الأمم المتحدة، وتنوع نشاطاتها، واتساع نفوذها وسلطتها باعتبارها مرجعية عالمية لكل الدول التي انضمت اليها، وانضوت تحت لوائها، فتعددت هيئاتها ومؤسساتها وأصبحت شاملة لكافة أنواع النشاط البشري، فكان من أهم انجازاتها ما يسمى ب»الاعلان العالمي لحقوق الانسان».

وميثاق الأمم المتحدة (يدرج بالفعل عدة أحكام متعلقة بحقوق الانسان، ومنها المادة ١(٣)، التي تجعل أحد مقاصد الأمم المتحدة تحقيق التعاون الدولي... على تعزيز احترام حقوق الانسان والحريات الأساسية للناس جميعا، والتشجيع على ذلك اطلاقا بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين. وفي عام ١٩٤٨، اعتمدت الأمم المتحدة الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي يعب عن تلك الحقوق بمضمون أكبر بكثير من التفصيل، ولا يزال من أهم الوثائق الدولية لحقوق الانسان:ولأحكامه المناهضة للتمييز وغيرها من المواد أهمية محورية أيضا للأشخاص المنتمين الى أقليات).[2]

هذا من حيث الصياغة الشكلية العامة، أما من حيث التطبيق فهناك الكثير من المآخذ عليه، سواء ما يتعلق بالحريات خصوصا، أو بحقوق الانسان عموما، فالحروب التي قادتها أمريكا لاحتلال افغانستان والعراق وتداعياتها التي لا زلنا نعيش فصولها، ومعانات الشعب الفلسطيني في ظل

(١) ينظر:النهوض بحقوق الأقليات وحمايتها (منشور) اعلان الأمم المتحدة بشأن حقوق الأقليات، جنيف ونيويورك ٢٠١٢، ص٣

(٢) ينظر: النهوض بحقوق الأقليات، مصدر السابق، ص٤

الاحتلال الصهيوني لأرضه، وما يقع على المسلمين من اضطهاد في ميانمار، وشعب الروهنكا في الصين، والحروب الداخلية في عدد من الدول العربية بعد اسقاط أنظمتها السياسية من خلال موجة ما سمي بالربيع العربي، لم نلمس تأثيرا مهما، أو دورا فاعلا للأمم المتحدة لتطبيق بنود ذلك الاعلان، فموقف الأمم المتحدة خاضع للهيمنة والسلطة الأمريكية، وبذلك رضيت لنفسها أن تكون بموقع شاهد زور على ما جرى ويجري.

ونجد أن ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الانسان قد أرسى دعائم حق الانسان في الحرية والكرامة وعدم التمييز بين أفراده وبكل أشكاله أو ألوانه، واحتوت المواد الثلاثة الأولى تلك الحقوق، وفيما يلي نصها كما هو موجود في أصل الميثاق:[1]

المادة ١.

(يولد جميع الناس أحراراً ومتساوين في الكرامة والحقوق. وهم قد وهبوا العقل والوجدان وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء.

المادة ٢.

لكلِّ إنسان حقُّ التمتُّع بجميع الحقوق والحرِّيات المذكورة في هذا الإعلان، دونما تمييز من أيِّ نوع، ولا سيما التمييز بسبب العنصر، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدِّين، أو الرأي سياسيًّا وغير سياسي، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي، أو الثروة، أو المولد، أو أيِّ وضع آخر. وفضلاً عن ذلك لا يجوز التمييزُ علي أساس الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي للبلد أو الإقليم الذي ينتمي إليه الشخص، سواء أكان مستقلاً أو موضوعًا تحت الوصاية أو غير متمتِّع بالحكم الذاتي أم خاضعًا لأيِّ قيد آخر على سيادة).

المادة ٣.

(لكلِّ فرد الحقُّ في الحياة والحرِّية وفي الأمان على شخصه..).

وانتبه مجلس حقوق الانسان الى ما شاع مؤخرا من تجاوزات واساءات من قبل أفراد أو جماعات تمس هوية الآخرين أو معتقداتهم، مما شكل بادرة خطيرة لتفكيك لحمة المجتمعات وتنوعها الاجتماعي، فأصدر وثيقة ادانة ورفض لكل أشكال التجاوز على خصوصيات الآخرين، وفيما يلي نص الفقرة الأولى من بيانه بهذا الخصوص في دورته التاسعة/ الوثيقة (٩/ ٧) تاريخ الجلسة ١٢ سبتمبر ٢٠٠٨ :[2]

(اعترف مجلس حقوق الإنسان، في قراره ١٩/ ٧بشأن مناهضة تشويه صورة الأديان، بأهمية احترام وتفهم التنوع الديني والثقافي وأعرب عن قلقه إزاء النظرة النمطية السلبية إلى جميع الأديان، وإزاء مظاهر التعصب والتمييز ضدها، ولا سيما

(١) ينظر: الاعلان العالمي لحقوق الانسان (موقع منظمة الأمم المتحدة على الانترنيت
https://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights/index.html

(٢) موقع الأمم المتحدة على الانترنيت
http://hrlibrary.umn.edu/arabic/AR-HRC/AHRC9-35.pdf
وقت المشاهدة الساعة ٤،٤٥مساء يوم الخميس ١٤ / ١ / ٢٠٢١

تكثيف الحملات الرامية إلى تشويه صورة الأديان وإلى التنميط الإثني والديني للأقليات المسلمة في أعقاب أحداث ١١أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١المأساوية. وحث المجلس الدول الأعضاء على اتخاذ إجراءات تمنع نشر أفكار ومواد تنطوي على عنصرية وعلى كره الأجانب موجّهة ضد أي دين من الأديان أو ضدّ أتباعه مما يشكل تحريضاً على العنصرية والكراهية الدينية أو العداوة أو البغضاء).

وبناء على ما تقدم من ميثاق واعلان حقوق الانسان فيبقى السؤال مطروحا عن مشروعية احتلال فلسطين من قبل الصهاينة، وما عانت وتعانيه عدد من بلداننا العربية وشعوبنا الاسلامية من ويلات الحروب والاضطهاد، وكذلك ما يثار بين الحين والآخر من اساءات متعمدة مدعومة رسميا من بعض الحكومات في محاولات للنيل من الاسلام ونبيه الكريم ﷺ تحت ستار الحرية الشخصية، ولا نجد دورا حقيقيا للأمم المتحدة لجعل هذه المواثيق ذات فاعلية وتأثير ملموس كما يظهر اذا ما ذكر اليهود بما يعتبرونه اساءة لهم.

المبحث الثاني
منهج القرآن الكريم والكتاب المقدس في ارساء معالم التعايش السلمي الاجتماعي

المطلب الأول: أسس بناء المجتمع الفاضل بحسب منهج القرآن الكريم

ان منهج القرآن الكريم في اقامة المجتمعات قد بني على أسس رصينة، الغاية منها تحقيق أكبر قدر ممكن من ثقافة التعايش بين أفراد المجتمع، على اختلاف مشاربهم من حيث الجنس والعرق واللون والدين، ومراعاة هذه الأسس والتقيد بها والتمسك بقيمها يمثل ضمانة واقعية لتماسك المجتمع، الذي يعيش فيه الجميع بأمن واستقرار.

والقرآن الكريم هو المرجعية الأولى للاسلام، وكان قد رفد الأمة الاسلامية بخطابه البشري العالمي الذي لا يقف عند حدود الانتماء الديني، وألزم اتباعه بحسن العلاقة مع مخالفيهم في العقيدة، أي أنه لم يحمل خطابا ومنهجا عنصريا منغلقا على أتباعه، بل انه فتح اطار العلاقات ليحتوي بين جنبات المجتمع تنوعا كان مظلته عدالة الاسلام وسماحته، وفيما يلي أهم الأسس التي أرساها الاسلام لبناء المجتمع السليم:

١. وحدة الجنس البشري: رسم القرآن الكريم أهم مقومات المجتمع من خلال النظرة الى عموم البشر من زاوية آدميته وبشريته، فكان أغلب الخطاب المكي في القرآن بصيغ (يا بني آدم، ويا أيها الناس)، وهذا ما يناسب عالمية رسالة الاسلام ودعوتها الى كل البشر، فلم تكن رسالة أممية خاصة، وليست كما في الكتاب المقدس شريعة خاصة في بني اسرائيل. قال تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقنَٰكُم مِّن ذَكَر وَأُنثَىٰ وَجَعَلنَٰكُم شُعُوبا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللهَّ أَتقَيكُم إِنَّ اللهَّ عَلِيمٌ خَبِير)[1]، وفي التفسير(شُعُوبا وَقَبَآئِلَ) الشعوب:هم المضافون الى النواحي والشعاب،

(١) سورة الحجرات:١٣

والقبائل هم المشتركون في الأنساب، ومعنى(إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللهِ أَتقَيكُم) أن التقوى هو المراعى عند الله تعالى وعند رسوله، دون الحسب والنسب، والتقوى معناها:مراعاة حقوق الله تعالى أمرا ونهيا، والاتصاف بما أمر الله أن تتصف به، والتنزه عما نهاك عنه.(١)

(هذا هو الاسلام ويستوي فيه – بالنظر الى عقيدته وشريعته – جميع بني الانسان، تطالب به جميع الأجناس والطوائف، دون نظر الى ما بينهم من فروق شخصية...أو فروق اجتماعية.. ودرجات القرب من الله تتبع درجات القوة في الايمان).(٢)

وأقر القرآن الكريم التنوع والاختلاف فيما بين الناس من حيث أجناسهم وخصائصهم، قال تعالى: وقوله تعالى:(وَمِن ءَايَٰتِهِۦ خَلقُ السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرضِ وَاختِلَٰفُ أَلسِنَتِكُم وَأَلوَٰنِكُم إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلعَٰلِمِينَ) ۝ ، ومعنى (اختلاف ألسنتكم وألوانكم) ومعنى الاختلاف هنا:اختلاف منطق ألسنتكم ولغاتها، (وألوانكم)يقول:اختلاف أجسادكم..ان في فعله ذلك كذلك لعبر وأدلة لخلقه الذين يعقلون أنه لا يعيبه اعادتهم لهيئتهم التي كانوا عليها قبل مماتهم من بعد فنائهم.(٤)

واعتبر الاسلام الناس جميعا أمة واحدة، الانسانية تجمعها، واذا فرقت الأهواء فالأصل واحد، ولقد صرح القرآن بهذه الوحدة في آيات كثيرة، ومادام الأصل واحدا فالوحدة شاملة،...وصرح القرآن بأن الانسانية أمة واحدة، وأن الناس جميعا أمة واحدة، وأن الاختلاف عارض ومنشؤه اختلاف الأهواء(٥)، قال تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَٰبَ بِالحَقِّ لِيَحكُمَ بَينَ النَّاسِ فِيمَا اختَلَفُواْ فِيهِ)(٦)، فالاتفاق بحسب الآية هو الأصل، والاختلاف عارض، وما ذكر في تفسيره (كان الناس أمة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس أو نوح أو بعد الطوفان، أو متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس أو نوح، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، أي:لما اختلفوا فبعث الله..والذي اختلفوا فيه، مااختلفوا فيه، أو فيما التبس عليهم، وما اختلف فيه من الحق، أو الكتاب)(٧)

(وهكذا نقترب في ظل الاسلام من الوصول الى صيغة وفاق عالمي، تحل محل كل المخادعات التي تعج بها النظم الوضعية وفي مقدمتها»هيئة الأمم المتحدة»ومؤسساتها، ووثائقها التي ان سلمت نظريا انحرف عنها واضعوها حسب الأهواء ورعاية مصالح «الأقوياء»، والدوس بالأقدام على الضعفاء أيا كان مصدر الضعف).(٨)

(١) تفسير القرآن العظيم (مصدر سابق)ج١٦، ص٣٤٥
(٢) ينظر: الاسلام عقيدة وشريعة، الامام الأكبر محمود شلتوت، ص١٤
(٣) سورة الروم:٢٢
(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن الطبري، ج٢٠، ص٨٧
(٥) العلاقات الدولية في الاسلام، الامام محمد أبو زهره، ص٢١
(٦) سورة البقرة:٢١٣
(٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، ص١٣٥
(٨) مباديء التعايش السلمي في الاسلام منهجا وسيرة،

٢. العدل والمساواة: يرسم القرآن الكريم معالم العدل والمساواة بين أفراد المجتمع، وجعل النظرة اليهم واحدة حاكما أو محكوما، غنيا أو فقيرا، مسلما أو غير مسلم، ذكرا أو أنثى، الى غير ذلك من الفوارق مرتكزا أصيلا وفاعلا في تحقيق السلم والأمن المجتمعي.، والقرآن الكريم احتوى كثير من الآيات في هذا المجال، منها قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِالقِسطِۖ وَلَا يَجرِمَنَّكُم شَنَـَٔانُ قَومٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعدِلُواْ اعدِلُواْ هُوَ أَقرَبُ لِلتَّقوَىٰۖ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعمَلُونَ﴾ ۝٨ ، وقال تعالى:(وَأَقِيمُواْ الوَزنَ بِالقِسطِ وَلَا تُخسِرُواْ المِيزَانَ) ۝٩ .(القسط أي:العدل، بالقسط أي:بالعدل، فلا يعدلوا عنه يمينا ولا شمالا، ولا في الله لومة لائم، ولا يصرف عنه صارف، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه)[٣]

«أعلن الاسلام الناس بالوحدة، ومن مقتضياتها المساواة بين بني الانسان في الحقوق والواجبات، والعدل هو الشعار الصادق لهذه الوحدة، يكون حيث تكون، ويفقد حين تفقد، وكان العدل شعارها الدال عليها، وسورها المحدد له، لزم أن تكون تلك الفروق بمنأى كذلك عن محيط العدل، ويستوي فيه القوي والضعيف..والمسلم وغير المسلم».[٤]

واذا كان لكل دين سمة يتسم بها، فسمة الاسلام هي العدالة، وهي شعاره، وهي خاصته، والعدالة هي الميزان المستقيم الذي يحدد العلاقات بين الناس في حال السلم، وحال الحرب.. وبه ينتظم الوجود الانساني.[٥]

(فالعدل واحد من فرائض الله، سبحانه وتعالى، به يتحقق الأمن الاجتماعي للانسان، في الاطارين الفردي والجمعي..في الأسرة، والعمل، والدولة، وسائر ميادين العمران).[٦]

ومبدأ العدالة تبنته عموم الأديان والمباديء الوضعية، لكنه في الاسلام أكتسب بعدا أوسع، وتأثيرا أعمق، ووضوحا أظهر، فهو من المباديء التي أرساها الاسلام لتحقيق التعايش السلمي العالمي، والعدل وسيلة ذات شأن من وسائل اعادة التوازن في الحياة، وتسكين هياج النفوس، ومظلة تحمي الحقوق، وتشيع الأمن والسلام بين الناس، واذا غاب العدل بين الناس تصدعت أسس الاستقرار، وفسد طعم الحياة.[٧]

٣. التكافل الاجتماعي:يعتبر التكافل عنصر مهم في ترسيخ المحبة بين أفراد المجتمع، وضمانة لاستقراره، وبفقدانه يسود الحقد والكراهية بين طبقات المجتمع،

د.عبدالعظيم ابراهيم المطعني، ٨٧
(١) سورة المائدة:٨
(٢) سورة الرحمن:٩
(٣) تفسير ابن كثير، ج٢، ص٣٨٣
(٤) ينظر: مباديء التعايش السلمي في الاسلام منهجا وسيرة (مصدر سابق)، ص٤٥٢
(٥) ينظر:لعلاقات الدولية في الاسلام (مصدر سابق)، ص٣٧
(٦) الاسلام والأمن الاجتماعي (مصدر سابق)، ص٩٢
(٧) ينظر:مباديء التعايش السلمي في الاسلام منهجا وسيرة (مصدر سابق)، ص٧٨

وخصوصا نظرة الفقير البائس، الى الغني المترف، الذي تجاهل أو تغافل عن أداء حق الفقراء والمساكين في ماله، وقد حفل القرآن الكريم بالكثير من الآيات في الحض على الانفاق وفضل المنفقين، قال تعالى:((مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموَٰلَهُم فِى سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَت سَبعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَة مِّاْئَةُ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ))[1]، وقوله تعالى: (وَيُطعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسكِينا وَيَتِيما وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطعِمُكُم لِوَجهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُم جَزَآء وَلَا شُكُورًا)[2]، والتكافل منشؤه التعاون فيما بين أفراد المجتمع، واحساس كل فرد بما عليه الآخر، وهو ركن ركين وبناء راسخ في اقامة العلاقات بين أبناء المجتمع دواعيه ودوافعه الخيرة النبيلة.

فالتعاون في الاسلام مبدأ في كل الجماعات الانسانية كما قرره القرآن...فقد حث على التعاون المطلق على البر، ومنع التعاون على الاثم والعدوان، وان التعاون قوام الأسرة، وقوام الأمة، وقد جاءت النصوص القرآنية لتعميم التعاون في داخل الاقليم الواحد، وفي نطاق الانسانية،[3] قال تعالى:(وَتَعَاوَنُواْ عَلَى البِرِّ وَالتَّقوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثمِ وَالعُدوَانِ وَاتَّقُواْ اللَّهَۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ) ۝ .

ويلتقي منطق الفطرة مع نصوص القرآن الكريم، وأقوال المفسرين على أن انفاق المرء مما يحوزه تكليف مشروع، بل تكليف مفروض، يوضع به المال في مصالح الجماعة، ولا سيما فقرائهم...أي ان ذلك الانفاق وظيفة اجتماعية مشروعة نزل بها الوحي، فهي ذات تبعات خطيرة، وتكاليف دقيقة، لما يتعلق بها من أمر الجماعة في الدين والدنيا، قال تعالى:(ءَامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّستَخلَفِينَ فِيهِۖ فَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُم وَأَنفَقُواْ لَهُم أَجر كَبِير) ۝ . وهكذا نجد دعوة القرآن الكريم محفزا لأتباعه على الانفاق، وتحري من قصرت بهم الحاجة، وفي هذه الآية نجد الرابط الوثيق بين الحث على الايمان بالله تعالى، مرفوقا بالدعوة الى الانفاق والبذل والعطاء للمستحقين، حتى يكتمل عقد الايمان الذي ورد في الآية، وثمرته التي ينالها من استجاب لتلك الدعوة.

٤.الأمان وحرية المعتقد:عالج القرآن الكريم حرية المعتقد والأمان لغير المسلم، فنظم العلاقة بين المسلمين من جهة ومن يعيشون معهم في بلدهم من غير المسلمين، وفتح لهم آفاق الحياة في ظل خيمة الاسلام وممارسة طقوسهم وعباداتهم وشعائرهم بحرية تامة بعيدا عن الاكراه.قال تعالى:(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)[6](وكما هو مقرر فان حرية الانسان في الرؤية الاسلامية، هي فريضة اجتماعية،

(١) سورة البقرة:٢٦١
(٢) سورة الانسان:٨ـ٩
(٣) ينظر: مباديء التعايش السلمي في الاسلام منهجا وسيرة (مصدر سابق)، ص٧٨، ص٢٥
(٤) سورة المائدة:٢
(٥) سورة الحديد:٧
(٦) سورة الممتحنة: ٨

وتكليف الهي، تتأسس عليها أمانة المسئولية ورسالة الاستخلاف، التي هي جماع المقاصد الالهية من خلق الانسان).[1]

ومضمون رسالة الاستخلاف يفهم منها أن استخلاف الانسان في الأرض انما كان بأمر من الله تعالى لعمارتها والمحافظة عليها ورعايتها، واصلاح ما يطرأ عليها من فساد، ولكن الانسان لم يحافظ على ذلك الشرف ولم يصنه كما ينبغي، فنجد أن شيوع كثير من ممارسات الافساد أصبحت تحكم تصرفاتنا وسلوكنا اليوم، لذا كان مردود ذلك هو حجم الفوضى والاضطراب الذي ساد كثيرا من جوانب حياتنا المعاصرة.

((وقد احترم الاسلام حرية العقيدة احتراما كاملا، فمنع الاكراه في الدين، اذ نفى القرآن الكريم بالنص أن يكون الاكراه طريقا للدين، ومنع المؤمنين من أن يكرهوا أحدا على الدين، وخوطب النبي ﷺ بهذا النص المانع في قوله تعالى[2]:(لا إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُر بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱستَمۡسَكَ بِٱلعُرۡوَةِ ٱلوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [3] ، وقوله تعالى:(وَلَو شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ) [4] . وجعل القرآن الكريم قاعدة العلاقة مبنية على السلم والمحبة، (فالاسلام لا يرى أن مجرد المخالفة في الدين، تبيح العداوة والبغضاء، وتمنع المسالمة والتعاون على شئون الحياة العامة فضلا عن أن تبيح القتال لأجل تلك المخالفة).[5]

وقال تعالى مخاطبا المسلمين مهذبا لهم في تعاملهم ومجادلتهم أهل الكتاب:و(وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ)[6]، ذكر الطبري في تفسير الآية:يقول تعالى ذكره: (ولا تجادلوا) أيها المؤمنون بالله ورسوله اليهود والنصارى، وهم أهل الكتاب(الا بالتي هي أحسن)يقول:الا بالجميل من القول، وهو الدعاء الى الله بآياته، والتنبيه على حججه. وأولى الأقوال بالصواب قول من قال عني بقولهم(الا الذين ظلموا منهم):الا الذين اتنعوا من أداء الجزية، ونصبوا دونها الحرب.[7]وقال تعالى ممتدحا النصارى:(ولَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱليَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَستَكۡبِرُونَ)[8]، «والمودة»»المفعلة»، من قول الرجل»وددت كذا أودُه ودا بضم الواو، وودا بكسرها، وودا بالفتح، ومودة»،

(١) ينظر:الاسلام والأمن الاجتماعي (مصدر سابق)، ص٨٥
(٢) العلاقات الدولية في الاسلام (مصدر سابق)، ص٢٩
(٣) سورة البقرة:٢٥٦
(٤) سورة يونس:٩٩
(٥) ينظر:الاسلام عقيدة وشريعة (مصدر سابق)، ص٤٤
(٦) سورة العنكبوت:٤٦
(٧) تفسير الطبري، ج٢٠، ص٤٧-٤٨
(٨) سورة المائدة:٨٢

اذا أحببته.[1] وذهب في العلاقة أبعد من ذلك ليجيز زواج المسلم من الكتابية كما وأجاز أكل طعام وذبيحة الكتابيين اذ يقول: (اليَومَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الكِتَٰبَ حِلّ لَّكُم وَطَعَامُكُم حِلّ لَّهُم ۖ وَالمُحصَنَٰتُ مِنَ المُؤمِنَٰتِ وَالمُحصَنَٰتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الكِتَٰبَ مِن قَبلِكُم إِذَآ ءَاتَيتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحصِنِينَ غَيرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخدَانٍ ۗ) ۝ ، فجمهور العلماء في كل زمان ومكان حملوا حكم الآية على ظاهر ألفاظها وعموم اطلاقها، اذ لا بد من الدليل لصرف حكم من أحكام القرآن عن ظاهره..لأجل هذا فان جمهور الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين من السلف قد حملوا هذه الآية على الاذن العام في التزوج بنساء أهل الكتاب بدون قيد ولا شرط.[3] وتفسير قوله تعالى(وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الكِتَٰبَ حِلّ لَّكُم وَطَعَامُكُم حِلّ لَّهُم ۖ)يعني ذبائحهم، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء، أن ذبائحهم حلال للمسلمين، لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله، ولا يذكرون على ذبائحهم الا اسم الله، وان اعتقدوا فيه تعالى ما هو منزه عنه. تعالى وتقدس.[4]

(وهنا يصعب على كثير من مراقبي الغرب تفهم المسلمين حين يزعمون أن الاسلام هو دين السماحة المطلقة بلا منازع، فالقرآن الكريم يذكر المؤمنين بأن من الطبيعي اختلاف البشر، حيث يصف تعدد المواقف الدينية على اختلافها في النظر الى الكون بما فيه ومن فيه، بأنه خاضع لله ومشيئته)[5]، فيقول تعالى:(وَأَنزَلنَآ إِلَيكَ الكِتَٰبَ بِالحَقِّ مُصَدِّقا لِّمَا بَينَ يَدَيهِ مِنَ الكِتَٰبِ وَمُهَيمِنًا عَلَيهِ ۖ فَاحكُم بَينَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِع أَهوَآءَهُم عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلّ جَعَلنَا مِنكُم شِرعَة وَمِنهَاجا وَلَو شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُم أُمَّة وَٰحِدَة وَلَٰكِن لِّيَبلُوَكُم فِي مَآ ءَاتَىٰكُم ۖ فَاستَبِقُواْ الخَيرَٰتِ إِلَى اللَّهِ مَرجِعُكُم جَمِيعا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ) ۝ .

٥.العفو والتسامح: حفلت آيات القرآن الكريم بالنصوص الكثيرة التي تدعو وتحث على العفو والتسامح بين الناس، وكان من مزايا خطاب القرآن الكريم هو العموم في دعوة الناس الى حياة يسودها الود والوئام، فجعل التسامح منهجا اجتماعيا مفروض على جميع أفراد المجتمع، قال تعالى:﴿خُذِ العَفوَ وَأمُر بِالعُرفِ وَأَعرِض عَنِ الجَٰهِلِينَ﴾[7]، ذكر الطبري في تأويل)خذ العفو):من أخلاق الناس، وهو الفضل وما لا يجهدهم.[8] وقال تعالى:﴿إِن تُبدُواْ خَيرًا أَو تُخفُوهُ أَو تَعفُواْ عَن سُوٓء فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّا قَدِيرًا﴾ ۝ ، وقال تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِن أَزوَٰجِكُم وَأَولَٰدِكُم عَدُوّا لَّكُم فَاحذَرُوهُم وَإِن

(١) ينظر:تفسير الطبري، ج١٠، ص١٩٩
(٢) سورة المائدة:٥
(٣) ينظر:الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، أبو الأعلى المودودي، ص١١١
(٤) تفسير ابن كثير، ج٣، ص٣٥
(٥) الاسلام كبديل، د.مراد هوفمان، ص١١٥
(٦) سورة المائدة:٤٨
(٧) سورة الأعراف:١٩٩
(٨) تفسير الطبري، ج١٣، ص١٢٦
(٩) سورة النساء:١٤٩

تَعفُواْ وَتَصفَحُواْ وَتَغفِرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُور رَّحِيمٌ)[1].

((فالاسلام دين يتسع للحرية الفكرية العاقلة... وقد كان بتلك الحرية دينا، يساير جميع أنواع الثقافات الصحيحة، والحضارات النافعة التي يتفتق عنها العقل البشري في صلاح البشرية وتقدمها مهما ارتقى العقل، ونمت الحياة)).[2]

وذهبت دعوة القرآن الكريم الى أبعد من العلاقات الاجتماعية، فدعوته امتدت لشمل العلاقة المالية، فقد دعا الى مراعاة الغني لحال الفقير ان أعسر عن سداد الدين، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسرَة فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيسَرَة وَأَن تَصَدَّقُواْ خَير لَّكُم إِن كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ [3].

والحاح الاسلام على ضرورة السماحة والتسامح راسخ في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمۖ فَمَن شَآءَ فَليُؤمِن وَمَن شَآءَ فَليَكفُر إِنَّآ أَعتَدنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِم سُرَادِقُهَا وَإِن يَستَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَالمُهلِ يَشوِى الوُجُوهَ بِئسَ الشَّرَابُ وَسَآءَت مُرتَفَقًا﴾ [4]، والاسلام يرفض التبشير العدواني على غرار ارساليات التنصير التي تنشط في تنظيمها الكنيسة المسيحية، فالله تعالى حذر رسوله الكريم من تجاوز حدود البلاغ، قال تعالى: ﴿فلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدرُكَ أَن يَقُولُواْ لَولَآ أُنزِلَ عَلَيهِ كَنزٌ أَو جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِير وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىءٖ وَكِيلٌ)) [5]، وقوله تعالى:((فَإِن حَآجُّوكَ فَقُل أَسلَمتُ وَجهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ الكِتَٰبَ وَالأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسلَمتُم فَإِن أَسلَمُواْ فَقَدِ اهتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّواْ فَإِنَّمَا عَلَيكَ البَلَٰغُۗ وَاللَّهُ بَصِيرُۢ بِالعِبَادِ))[6]، ويذكر الطبري في تأويل قوله تعالى: (ءَأَسلَمتُم فَإِن أَسلَمُواْ فَقَدِ اهتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّواْ فَإِنَّمَا عَلَيكَ البَلَٰغُۗ)أأسلمتم، يقول قل لهم:هل أردتم التوحيد وأخلصتم العبادة والألوهة لرب العالمين. دون سائر الأنداد والأشراك التي تشركونها معه في عبادتكم اياهم واقراركم بربوبيتهم..فان انقادوا لفراد الوحدانية لله واخلاص العبادة والألوهة له، فقد اهتدوا، يعني:فقد أصابوا سبيل الحق، وسلكوا محجة الرشد.[7] وقوله تعالى:(قُل يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَد جَآءَكُمُ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمۖ فَمَنِ اهتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهتَدِى لِنَفسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيكُم بِوَكِيل) [8]، (والجوهر الكافي في هذا الموقف الشامل المتقبل للتسامح للآخرين،فكريا وعمليا، هو الحقيقة التي نص عليها القرآن الكريم حقا، وجعلها أساسا في العلائق، وحرم انتهاكها على الخلائق)[9]، قال تعالى:﴿لَآ إِكرَاهَ فِي الدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكفُر بِالطَّٰغُوتِ وَيُؤمِنۢ

(١) سورة التغابن:١٤
(٢) ينظر:الاسلام عقيدة وشريعة (مصدر سابق)، ص٩
(٣) سورة البقرة:٢٨٠
(٤) سورة الكهف:١٩
(٥) سورة هود:١٢
(٦) سورة آل عمران:٢٠
(٧) ينظر:تفسير الطبري، ج٦، ٢٨١
(٨) سورة يونس:١٠٨
(٩) الاسلام كبديل (مصدر سابق)، ص١١٦

بِاللَّهِ فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [1] .

ويذكر المودودي معلقا على الآية:(ادعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلهُم بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعلَمُ بِالمُهتَدِينَ) [2] ، نعم ان هذا هو التسامح الذي يمكن أن يتبعه رجل سليم الفطرة، يحب الصدق ويناصر الحق..فلا يؤلم غيره، ويجرح قلبه أو يشاتمه ويلاعنه، أو يتحامل على عقائده، أو يحول بينه وبين مزاولة طقوس دينه ومراسمه، ويكرهه على اعتناق دينه قبل أن يقنعه على صحته.[3]

المطلب الثاني: أسس العلاقات الاجتماعية بحسب منهج التوراة

ان العودة الى نصوص ومضامين التوراة ضروري لاستكشاف حقيقتها وصورتها التي امتدحها القرآن الكريم بقوله:(إِنَّآ أَنزَلنَا التَّورَىٰةَ فِيهَا هُدى وَنُور يَحكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّنِيُّونَ وَالأَحبَارُ بِمَا استُحفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ اللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيهِ شُهَدَآءَ) [4] ، وهنا عندما نتحدث هنا نقصد تلك التوراة الأصيلة وليست المحرفة التي أنبأ عنها القرآن الكريم بقوله:(أَفَتَطمَعُونَ أَن يُؤمِنُواْ لَكُم وَقَد كَانَ فَرِيق مِّنهُم يَسمَعُونَ كَلَـٰمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُم يَعلَمُونَ) [5] ، (وبحسب رأي مؤرخوا الأديان ونقاد الكتاب المقدس فان سفر التكوين عبارة عن مجموعة من أعمال العنف والغدر والقتل والرذيلة، فالتوراة لم تترك على ما كانت في الألواح كما كتبها الله لموسى، ولا على ما انتسخها لهم موسى، بل زيد فيها، ولا بد ما ليس منها، ولا كان في الألواح مما كتبه الله لموسى).[6]

فالتوراة في أصلها وحي الله تعالى الى نبيه موسى عليه السلام، وقد تضمنت كل ما هو خير في الدنيا والآخرة، وعبث المحرفين من الربابنة والأحبار لاحقا لا يلغي قيمة ما سلم من تلاعبهم وتبديلهم وتحريفهم.

ويرى قسم من مؤرخي الأديان المسلمين أن علاقة الاسلام باليهودية محدودة بمصدر واحد معين من مصادر التوراة، وهو المصدر المعبر عن الوحي الالهي...والمصدر الألوهيمي – أحد المصادر الرئيسية الأربعة للتوراة واسمه مشتق من اسم الله المستعمل في النص الوهيم – هو أقرب مصادر التوراة تعبيرا عن الوحي الالهي بعد عزله وتخليصه من شوائب خلال عملية تحرير التوراة، التي دامت أكثر من عشرة قرون، الى أن أخذت التوراة شكلها الحالي الذي نعرفه الآن.[7]

(ففي نصوص التوراة نقرأ كثيرا من أعمال

(١) سورة البقرة:٢٥٦
(٢) سورة النحل:١٢٥
(٣) ينظر: الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة (مصدر سابق)، ص١٢٥
(٤) سورة المائدة:٤٤
(٥) سورة البقرة:٧٥
(٦) ينظر:الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، الامام القرطبي، ص١٨٨
(٧) ينظر:علاقة الاسلام باليهودية رؤية اسلامية في مصادر التوراة الحالية، د.محمد خليفه حسن أحمد، ص٦١-٦٢

العنف والعدوان، وهي كما يزعم اليهود بطولات قام بها أسلافهم التزاما بأوامر الرب يهوه، كما نقرأ أوامر وأحكاما وأحكاما تؤكد على التسلط والتوجس والاحتراز والعدوان والعزلة وعدم الاختلاط بالشعوب والأمم الأخرى نظرا لنجاستها ودونيتها).[1]

والناظر في نصوص التوراة وأحكامها يجد أنها موضوعة وفق نظرية الشعب المختار، فالحكم ان كان مع الأغيار – الأمم الأخرى من غير اليهود ـ يختلف عنه اذا كان بين اليهود أنفسهم، ومع اقرارنا بأن رسالة التوراة هي رسالة أممية، خاصة ببني اسرائيل، الا أنها تعاملت بحقد وعدوانية وكراهية مع غيرهم من البشر.

وفي موقفنا هذا غايتنا استلال أحكام ووصايا من التوراة في أسس بناء المجتمع اليهودي، وتنظيم العلاقة فيما بين أفراده ومجموعاته، من بين ركام كبير فيه الغث والسمين، وأكوام متراكمة من الحشو والتضليل، وفيما يلي أهم أسس وركائز تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع اليهودي بحسب منهج التوراة:

١. تقليد الله:فبحسب نظرية التوراة، أن مجمل العقيدة التلمودية، باعتبارها هي الوسيلة المثلى التي يجب البحث عنها في الحياة الروحية والأخلاقية، ويعبر بوضوح عن هذا المفهوم الحاخامات استنادا الى النصوص التوراتية[2]، منه ((اسمع يا اسرائيل. الرب الهنا رب واحد. فتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك. ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق وحين تنام وحين تقوم عصائب على عينيك: واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك))[3]، ويقصد بعصائب بين عينيك:(كان على العبراني أن يتأمل في الوصايا التي أعطاه الله اياها ويهتدي بها لاحقا، وفي تاريخ اليهود عمل بهذه العبارة حرفيا فصار الناس يربطون على أيديهم وجباههم بسيور من جلد عليبات تحتوي هذه الآيات)[4]،.وفي نص آخر(لكي تذكروا وتعملوا بجميع وصاياي وتكونوا مقدسين لالهكم).[5]

٢. الحب الأخوي:أمرت شريعة التوراة بمحبة القريب، فقالت:(لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك، بل تحب قريبك كنفسك أنا الرب)[6]. كما نهت التوراة عن كل ما يقوض العلاقة الاجتماعية من ممارسات وسلوكيات تسيء للآخرين(لا تسرقوا ولا تكذبوا ولا تغدروا أحدكم بصاحبه ولا تحلفوا باسمي الكذب فتدنس اسم الهك.أنا الرب. لا تغضب قريبك ولا تسلب. ولا تبت أجرة أجير عندك الى الغد. لا تشتم الأصم وقدام الأعمى لا تجعل معثرة. بل اخش الهك.

(١) الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (مصدر سابق)، ص٤٧
(٢) التلمود، آ. كوهن، ص٢٨٣
(٣) سفر التثنيه٦: ٤ ـ ١٠
(٤) تفسير الكتاب المقدس، جون ماك آرثر، ص٣٣٣
(٥) سفر العدد١٥: ٤٠
(٦) سفر اللاويين١٩: ١٨

أنا الرب)[1]، ويذكر المفسرون انه كان على الشعب أن يفكروا في هذه الوصايا ويتأملوا فيها، حتى لا تكون طاعة ناموسية طقسية بل ردة فعل أساسها الفهم.. ووجب أن تكون الوصايا موضوع الحديث سواء داخل البيت أو خارجه، من أول اليوم الى آخره.[2]

ووصايا التوراة هي خاصة باليهود وتنظيم العلاقة فيما بينهم دون الآخرين من غيرهم من الأمم. ولذا فقد حرف فقهاء اليهود، فحذفوا كلمة(كنفسك) واستبدلوها من عندهم بقولهم(وتبغض عدوك)، قاصدين بذلك أن يحب اليهودي اليهود ويكره الأمم. واستندوا في هذا التلاعب الى أن الحديث في هذا النص موجه لكل جماعة بني اسرائيل، وكذلك لما ورد في سفر اللاويين(لا تقف على دم قريبك..لا تبغض أخاك في قلبك..لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك. بل تحب قريبك كنفسك)،[3]، وفي نفس السفر(١٦-١٩)،معناه:(نهي عن فعل أي أمر قد يعرض للخطر حياة انسان آخر بغير وجه حق، وهذه الوصية ثاني وصية عظمى هي الواردة في العهد القديم).[4] كما أنهم استندوا الى مزمور الانتقام[5](يا بنت بابل المخربة طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيتنا. طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة).[6] طوبى لمن..اذ سيكون هؤلاء أدوات الله البشرية التي يستخدمها لاتمام مشيئته التي سبق التنبؤ بها من جهة سقوط بابل وخرابها.[7]

ومن المهم هنا أن نعرف لماذا هذا الحقد على بابل، وما الذي جنته حتى تستحق وأهلها كل هذا الوعيد؟! انه الدين التاريخي الذي على بابل وأهلها دفعه نتيجة لما قام به البابليون في مطلع القرن السادس ق.م. عندما اسقطوا مملكة يهوذا وسبوا أغلب أهلها أسارى الى بابل، وبقوا فيها بحدود ٥٠ عاما، ثم سمح لهم الملك الفارسي كورش بعد أن أسقط الفرس مملكة بابل عام ٥٣٩ق.م.[8]

ووصايا في العوة الى الأخوة والصداقة ينظر في (سفر الأمثال١٧:١٧ و٢٤: ١٨ و ٢٧: ٦)، يضاف الى تلك الوصايا وصية المحبة والابتعاد عن الحقد(لا تبغض أخاك في قلبك بل عاتبه عتابا ولا تحمل فيه وزرا)[9]، (والعتاب قصد به في الكتاب أن الله بين الاخاء والتفاهم وانهاء الغضب، بدل الاستمرار في الخصام، أو قطع الخصام دون تفاهم)[10]، فالناظر في النصوص يمكن أن يتصور أن وصايا التوراة اقتصرت على النهي عن اللعنة أو الضرب وعدم لطم الآخر على خده، فهذا النص يفيد اضافة تحريم الحقد الذي يعبر

(١) سفر اللاويين١٩: ١١ ـ ١٤
(٢) ينظر:تفسير الكتاب المقدس (مصدر سابق)،ص٣٣٣
(٣) سفر اللاويين١٩: ١٦ـ١٨
(٤) تفسير الكتاب المقدس (مصدر سابق)، ص٢٤٧
(٥) تفسير موعظة الجبل، القمص د.منيس عبدالنور، ص٣٨
(٦) سفر المزامير١٣٧: ٨ ـ ٩
(٧) تفسير الكتاب المقدس (مصدر سابق)، ص٩٨٥
(٨) ينظر:بنو اسرائيل الجزء الثاني التاريخ، أ.د.محمد بيومي مهران، ص٨٩٥-٩٠٠
(٩) سفر الأخبار١٧:١٩
(١٠) قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، ص٦٠٠

عنه في القلب على الرفاق أو المخلوقات باعتباره أحد العيوب الثلاثة التي تبعد الانسان عن العالم.[١]

٣. الرحمة: حفلت أسفار الشريعة اليهودية بالكثير من النصوص التي دعت أتباعها الى التراحم، ونشر المحبة بين أفراد مجتمعهم، لكي تستقيم حياته وتتوطد العلاقات بين أفراده، ومنها(لأنك أنت يا رب صالح وغفور وكثير الرحمة لكل الداعين اليك)[٢]، وفي نص آخر(مع الرحيم تكون رحيما، مع الرجل الكامل تكون كاملا)[٣]. وفي سفر الأمثال(لا تدع الرحمة والحق يتركانك. تقلدهما على عنقك. اكتبهما على لوح قلبك.فتجد نعمة وفطنة صالحة في أعين الله والناس)[٤]، والرحمة منها بمعنى(رحوم) وهي اسم عبري معناه»شفوق أو محبوب».[٥]

٤.التكافل الاجتماعي: ورد في سفر اللاويي)):اذا افتقر أخوك وقصرت يده عندك فأعضده غريبا أو مستوطنا فيعيش معك)[٦]، وفي موضع آخر من نفس السفر(واذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد. كأجير كنزيل يكوم عندك. الى سنة اليوبيل يخدم عندك. ثم يخرج من عندك هو وبنوه معه ويعود الى عشيرته)[٧]، ومما جاء في تفسير هذا النص:يشدد الكتاب المقدس على مساعدة الفقير بكل وسيلة، والأيتام والأرامل والمعوقون هم أكثر الناس تعرضا للفقر..فكان لا بد من مساعدة الفقير دون انتظار فائدة، فكانت المسئولية الشخصية للعناية بالفقير، مسئولية خطيرة.[٨] كذلك(ان كان فيك فقير . أحد من أخوتك في أحد أبوابك في أرضك التي يعطيك الرب الهك. فلا تقس قلبك ولا تقبض يدك عن أخيك الفقير)[٩]،، وورد في سفر دانيال المكتوب بالآرامية(لذلك أيها الملك لتحسن مشورتي اليك، وافتد خطاياك بالصدقة وآثامك بالرحمة للبائسين عسى أن تطول دعتك)[١٠]، وفي سفر اشعيا(أليس هو أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل البائسين المطرودين بيتك، واذا رأيت العريان أن تكسوه، ولا تتوارى عن لحمك)[١١]، وفي المزامير أيضا(انه كريم يعطي للمحتاجين، عدالته تبقى للأبد)[١٢]، وفي الأمثال(كنوز النفاق لا تنفع، والبر ينقذ من الموت)[١٣]، وفي التفسير التطبيقي للكتاب المقدس(أن الكتاب المقدس يؤيد وجود جهاز منظم للعناية بالفقراء، فقد أمر الله شعبه أن يستخدموا عشورهم في آخر كل ثلاث سنوات، للضعفاء والجياع والفقراء،

(١) التلمود، (مصدر سابق)، ٢٨٨
(٢) سفر المزامير٥:٨٦
(٣) سفر المزامير٢٥:١٨
(٤) سفر الأمثال٣ :٣ـ٤
(٥) قاموس الكتاب المقدس (مصدر سابق)،ص٤٠٢
(٦) سفر اللاويين٢٥: ٣
(٧) سفر اللاويين٢٥: ٣٩ ـ ٤١
(٨) ينظر:التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (مصدر سابق)، ص٢٦١
(٩) سفر التثنيه١٥: ٧
(١٠) التلمود (مصدر سابق)، ص٢٩٢-٢٩٣
(١١) سفر اشعيا٥٨: ٧
(١٢) سفرالمزامير١١٢
(١٣) سفر الأمثال١٠: ٢

وكان القصد من هذه الشرائع هو الحيلولة دون وقوع البلاد تحت وطأة الفقر والظلم).[١]

وورد في سفر التثنية الأصل والمحرف في الاقراض(لا تقرض أخاك بربا ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقرض بربا)، وأردف الكتبة فأضافوا نص آخر تابع له محرمين فيه الربا بين اليهود أنفسهم، محلينه مع غيرهم(لا تتقاضوا فوائد عما تقرضونه لاخوانكم من بني اسرائيل، سواء كانت القروض فضة أو أطعمة أو أي شيء آخر. أما الأجنبي فأقرضوه بربا. انما اياكم اقراض أخيكم بفائدة. ليباركم الرب الهكم)[٢]. وفي تفسير هذا الحكم:هذا الحظر للاقراض المال بالفائدة لأخ عبراني موصوف في سفر الخروج٢٢: ٢٥ و لاويين٢٥: ٣٥ و٣٦، حيث يقتصر تطبيقه على الفقراء ليحول دون افقارهم بعد، ولكن يسمح به مع الغرباء المنهمكين في التجارة والمقايضة لمضاعفة ثرائهم.[٣]

٥.العدل:أوصت التوراة بالالتزام بالعدل والابتعاد عن الظلم والجور وغمط حقوق الآخرين، ووردت نصوص ترسم معالم التعامل العادل فيما بين أتباع الشريعة، ومنها(لا تجورون في الحكم ولا في المساحة والوزن والكيل، بل بموازين عادلة وعبارات عادلة وايفة[٤] عادلة وهين[٥] عادل تكون لكم أن الرب الهكم الذي أخرجكم من أرض مصر)[٦]، وورد في الأمثال(اذا سقط عدوك فلا تشمت، واذا وقع فلا يبتهج قلبك. لئلا يرى الرب ويسوء الأمر في عينه فيرد عن غضبه)[٧]، وفي سفر اللاويين نهي عن الجور والظلم في القضاء، ولا المجاملة في اصدار الحكم :(لا ترتكبوا جورا في القضاء. لا تأخذوا بوجه مسكين ولا تحترم وجه كبير. بالعدل تحكم لقريبك)[٨]،وهذا يعني أن من يرفض الصفح أو العفو، ويختزن بداخله الكراهية و الحقد، ويفرح عند عندما تحل مصيبة بالآخرين، يصبح بهذا مذنبا، وسيحل غضب الله عليه.[٩]

ومرجع انغلاق اليهود على أنفسهم هو بسبب ظروفهم التي عاشوها في عصورهم الأولى..أثرت الظروف التاريخية التي عاشها بنو إسرائيل قبل نزول اليهودية في بنائهم النفسي وفي تاريخهم الديني، وقد أدى الاضطهاد الذي عاشوه على يد الفراعنة إلى انحراف شديد في تكوينهم النفسي مما عمق الشعور بالدونية، وعدم الثقة بالآخر، والشك بمن هم من غير جنسهم..كما أدى ذلك إضافة إلى فهمهم الخاطئ

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (مصدر سابق)، ص٣٨٤
(٢) سفر التثنية٢٣: ١٩ ـ ٢٠
(٣) تفسير الكتاب المقدس (مصدر سابق)، ص٣٥٨
(٤) ايفة:مكيال عبري يستعمل في كيل الدقيق أو الشعير. [ينظر:قاموس الكتاب المقدس (مصدر سابق)، ص١٤٢]
(٥) هين:أداة للكيل.[المصدر السابق، ص١٠١٥]
(٦) سفر الأخبار١٩: ٣٥ـ٣٦
(٧) سفر الأمثال٢: ١٧
(٨) سفر اللاويين١٩: ١٥
(٩) التلمود (مصدر سابق)، ص٣٠٣

لتعاليم دينهم إلى شعور بالعظمة والتعالي على جميع الأمم التي وصفوها بالأميين.[1]

ويتجلى الحب عند اليهود في حب الحياة.. أية الحياة، ولو كانت حياة دونية كما قال تعالى:(وَلَتَجِدَنَّهُم أَحرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُم لَو يُعَمَّرُ أَلفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحزِحِهِۦ مِنَ العَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعمَلُونَ)[2]، وحب المال أمر فطري، قال تعالى:(لَّيسَ البِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُم قِبَلَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ وَلَٰكِنَّ البِرَّ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الأَٰخِرِ وَالمَلَٰٓئِكَةِ وَالكِتَٰبِ وَالنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى المَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى القُربَىٰ وَاليَتَٰمَىٰ) ۝ ، إلا أنه عند اليهود تجاوز الحدود الطبيعية إلى درجة التقديس والعبادة ،و يظهر الحب عندهم ايضا في حب الشهوات والملذات المادية الجسدية ويتبدى ذلك في أنهم اتهموا جميع أنبيائهم بالزنا ووصفوا إلههم بأنه يسكر حتى الثمالة وما ذلك إلا لأنهم اسقطوا خصائصهم النفسية على المقدسيين في ديانتهم لتبرير أخلاقياتهم، وبذلك فإن الحب عند اليهود حب جسدي مادي ولا يظهر في دينهم أي مسحة من حب الإله لذاته أو حب للخير والفضيلة التي تعارفت عليه الشعوب، وقد انحصر الحب فيما بين أفراد جنسهم فقط، ويظهر تعصبهم وكراهيتهم لكل ما هو غير يهودي في القسوة والإرهاب المذكورين في التوراة لدى دخول نبيهم إلى فلسطين فقد قتل الرجال والنساء وإحراق الأرض.

أما ما تذكره التوراة عن علاقة اليهود بغيرهم (الأممين)[4] أو (الغوييم) أو (الأغيار)[5] كما يرد في أسفارها، وتعني بهم بقية الأمم من غير اليهود، فقد تضمن الحقد والعداء والوعيد والقتل والتنكيل، واستطاع مدونوا التوراة أن يحشو في تلك الأسفار عصارة فكرهم الشاذ والمتربص ضد الأغيار كما أفرزته عقولهم المريضة، كل ذلك كان يدور في دائرة الاصطفاء الرباني لهم دون غيرهم من الأمم كما يزعمون، وفيما يلي بعض نصوص التوراة في الاصطفاء:

ـ (فالآن ان سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب)[6] .

ـ (لأنك أنت شعب مقدس للرب الهك. اياك قد اختار الرب الهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض)[7].

ويذكر ابن كثير في تفسيره عن تحريف اليهود وتبديلهم للتوراة وقتلهم الأنبياء وأتباعهم المؤمنين، أن تلك الأعمال جلبت عليهم غضب الله تعالى، مستدلا بقوله تعالى:﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ

(١) ينظر:مذاهب فكرية معاصرة، (مصدر سابق)، التمهيد الثاني:دور اليهود في افساد أوربا، ص٧٩ – ٩٣
(٢) سورة البقرة:٩٦
(٣) سورة البقرة:١٧٧
(٤) أممي:يطلق هذا الاسم في الكتاب المقدس على الشعوب غير العبرانيين.[قاموس الكتاب المقدس، ص١١٧]
(٥) مصطلحي (غوييم و أغيار):يردان في الكتاب المقدس بنفس المعنى للأممين، أي الشعوب غير العبرانيين، ولم أجد له تفسيرا في قواميس الكتاب المقدس.
(٦) سفر الخروج١٩: ٥
(٧) سفر التثنية٧: ٦

وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (١) ، وقوله تعالى:﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٢) ، فيقول ابن كثير»هذا الذي جزيناهم من الذلة والمسكنة، واحلال الغضب عليهم من الذلة، بسبب استكبارهم عن الحق وكفرهم بآيات الله، واهانتهم حملة الشرع، وهم الأنبياء وأتباعهم..»(٣)

وعدوانية اليهود اتجاه غيرهم استنادا الى نصوص توراتية استخدموها ذريعة للعدوان والبطش بالآخرين، فالوصايا العشر التي وردت في سفر الخروج(اصحاح٢٠: ١ ـ ١٧)مطلقة في نصها ودلالتها، ولكن أحبارهم اقتصروها على أمتهم دون غيرهم، والقرآن الكريم أكد تلك الوصايا، ويقول ابن كثير(٤):(وقد قال كثير من علماء السلف وغيرهم مضمون هذه العشر الكلمات في آيتين من القرآن هي، بقوله تعالى:)قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ). (٥)

ويرى المفسرون أن النصوص التي وردت في التوراة(٦) هي بشأن قتال الأمم الأخرى بسبب كفرها، مما يعني أن بني اسرائيل عندما كفروا وعبدوا العجل وخالفوا الشريعة يدخلون مع أولئك الكفار في هذا الحكم فينطبق عليهم. ففي البداية والنهاية أن الله قد جعل القرآن حاكما على سائر الكتب غيره، وجعله مصدقا لها، ومبينا ما وقع فيها من التحريف والتبديل.. ولهذا يوجد في كتبهم – اليهود والنصارى – الخطأ البين على الله وعلى رسوله ما لايحد، ولا يوصف، ولا يوجد مثله، ولا يعرف.(٧)

مما سبق يتبين لنا الخلط والتحريف الذي تعرضت له التوراة في جانب منها بخصوص(العلاقات الاجتماعية)، فقد ضمنوا أسفارها أن جعلوا أنفسهم صفوة الخلق وشعب الرب المدلل، بينما بقية البشر لا تتمتع بأي قيمة أو اعتبار، وشرعنوا لأنفسهم على أيدي كهنتهم وأحبارهم ما ليس لهم في أصل الشريعة،

(١) سورة البقرة:٦١
(٢) سورة آل عمران:١١٢
(٣) تفسير ابن كثير (مصدر سابق)، ج٢، ١٠٤
(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، ج١، ص٣٢٦
(٥) سورة الأنعام:١٥١ ـ ١٥٢
(٦) ينظر:سفر التثنية٧: ١ ـ ٦ و ١٢: ١٣ ـ ١٦ من نفس السفر
(٧) ينظر: البداية والنهاية (مصدر سابق)، ج١، ص٣١٥

فكانت الأحكام عندهم دوما ذات بعدين:

أحدهما:داخلي، بمعنى علاقتهم ببعضهم من ملتهم، وهؤلاء يتقيدون بأحكام التوراة ومبادئها التي سبق ومرت في ثنايا المطلب.

ثانيهما:خارجي، أي موقفهم من غيرهم من الأمم، أسقطوا عليهم كل ما خطته أيدي كتبة التوراة من منهج عدواني شامل اتجاه غيرهم، وألصقوه زورا وبهتانا بشريعة التوراة.

المطلب الثالث: أسس العلاقات الاجتماعية بحسب منهج الانجيل

من المعلوم أن رسالة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام تمثل امتدادا لرسالة سيدنا موسى عليه السلام، والانجيل هو أيضا امتداد للتوراة، وخلال الحقبة الطويلة التي عاشها بنو اسرائيل منذ نزول التوراة وحتى نزول الانجيل هي فترة طويلة في عمر الزمن، اذا علمنا أن موسى قد عاش في منتصف القرن الرابع عشر ق.م.، وخلال تلك الفترة فقدت التوراة الكثير من بريقها في حياة بني اسرائيل، فكانت رسالة المسيح عيسى عليه السلام بعث واحياء وتجديد للتوراة، وهذا ما جاء على لسان المسيح في قول منسوب اليه في انجيل متى:((لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمِّل)).[1]

وجماع شريعة الانجيل قد ضمنها المسيح عيسى عليه السلام في موعظته على الجبل في نظر علماء الأديان، وفي هذه الموعظة الشاملة لكل جوانب التشريع، نستطيع أن نتلمس فيها عناصر وأسس بناء الجماعة التي كان المسيح يبغي رسم معالم حياتها من خلال العلاقة بين أفرادها، لأن استقصاء ماعداها يحتاج الى بسط وتطويل لا يتناسب مع حجم البحث المحدد، ويبدو أن هذه الموعظة قد سلمت من التحريف، لأنها أحتوت تعاليم وأوامر لا تتعارض أو تتناقض مع منهج الوحي الرباني الصادق المتمثل بالقرآن الكريم، وقد نجد بعض الاختلافات التشريعية وهو أمر طبيعي، كون الشرائع قد تختلف في أحكامها عن بعضها، مع وحدة مصدرها.

وفيما يلي أهم أسس بناء المجتمع الذي ورد في الانجيل:

١. المحبة:(سمعتم أنه قيل:تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم، أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا الى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم)[2]. ويذكر مفسروا الكتاب المقدس أنه قد ورد في سفر اللاويين(تحب قريبك وتبغض عدوك)[3]،الا أن موقف يسوع كان مغايرا تماما، حيث أسفر عن مقياس أعلى بكثير: فمحبة القريب ينبغي أن تطال حتى الجيران الأعداء...تعليم واضح عن محبة الله التي تصل حتى الى أعدائه...وهذه يسميها اللاهوتيون. النعمة العامة.[4]

تعليم واضح عن محبة الله التي تصل حتى إلى

(١) انجيل متى٥: ١٧

(٢) انجيل متى٥: ٤٣ ـ ٤٤

(٣) سفر اللاويين ١٩: ١٨

(٤) ينظر:تفسير الكتاب المقدس (مصدر سابق)، ص١٥٢٧

أعدائه. فهذه المحبة الإلهية العامة ظاهرة البركات التي يغدقها الله على الجميع من دون تمييز. وهذه يسميها اللاهوتيون، النعمة العامة. لكن هذه ينبغي أن يتم التمييز بينها وبين محبة الله الأبدية التي للمختارين.[1]

(ومن هذا النص استنتج مفسروا المسيحية ثلاث طرق عن هذه المحبة:

أ. التعبير بالكلام «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم»، فالمحبة هي عمل الخير الأسمى للآخر، فعلينا أن نعبر لأعدائنا عن مشاعرنا الطيبة كلما سنحت لنا الفرصة.

ب. التعبير بالاحسان: «أحسنوا الى مبغضيكم»، فيتضح محبة المؤمن لعدوه عمليا، طاعة للوصية.

ج. التعبير بالصلاة: «وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم»، قال القديس يوحنا الملقب (فم الذهب):ان الصلاة لأجل الأعداء هي أعلى قمم ضبط النفس..فهي تعبر عن الارتقاء الروحي).[2]

٢. الرحمة: ورد في الموعظة: (طوبى للرحماء لأنهم يرحمون)،[3]ويرى المفسرون: (أن الرحمة الواردة هنا، هي الدرجة الخامسة في سلم الارتقاء الروحي، فالتطويبات ابتدأت بالمساكين الذين اغتنوا، والحزانى الذين تعزوا صاروا ودعاء، جياعا عطاشا الى البر، يقدمون الرحمة لغيرهم من المحتاجين فيسعدون ويسعدون، والمسيح يقول:ان الرحيم هو السعيد، لأنه يتمثل بالله الرحيم، وبالمسيح الذي هو الرحمة نفسها، مستشهدين بقول أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله تعالى اذ يقول:

ولـد الرفـق يـوم مـولـد عيـسـى
والمـروءات والهـدى والحـياء
وازدهى الكون بالوليد وضـاءت
بسـناه مـن الـثـرى الأرجـاء
وسـرت آيـة المسيح كما يـسري
من الفـجر في الـوجـود ضـياء
لا وعـيـد، لا صـولة، لا انـتقـام
لا حـسـام، لا غـزوة، لا دمـاء

كل واحدة من هذه التطويبات تبين الطريق للفلاح والسعادة، ويستخدم بعض المترجمين كلمة»بالسعادة»عوضا عن»طوبى»، وهي لا تعني الضحك والسرور أو النجاح الدنيوي..وتعني الرجاء والفرح وعدم الاتكال على الظروف الخارجية. ولكي تحصل على الرجاء والفرح زد قربا من الله عن طريق طاعته وخدمته.[4]

والرحمة كما يذكرها أولئك المفسرون لها ثلاث حالات:

أولها: هو الذي يرحم الآخرين، بأن يهتم باحتياجاتهم المادية.

ثانيها: هو الذي يرحم المخطئين في حقه ويغفر لهم.

ثالثها: هو الذي يدعوا الناس الى التوبة والى

(١) تفسير الكتاب المقدس (مصدر سابق)، ص١٥٢٧
(٢) ينظر:تفسير موعظة الجبل، (مصدر سابق)، ص٣٦
(٣) انجيل متى ٥: ٧
(٤) ينظر:التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (مصدر سابق)، ص١٨٨١

خلاص نفوسهم).[١]

ويلاحظ أن كلمة»الرحمة»هنا لاتشير الى مجرد العطاء المادي أو حتى العاطفة وانما المشاركة الفعلية للآخرين، وكأننا نحتل مكانهم، فنشعر بآلامهم وأتعابهم.[٢]

٣. الصدق:(أيضا قد قيل للقدماء لا تحنث بل أوف للرب أقسامك. أما أنا فأقول لكم:لا تحلفوا البتة لا بالسماء لأنها كرسي الله، ولا بالأرض لأنها موطيء قدميه، و بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم. بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا. وما زاد على ذلك فهو من الشرير).[٣]

ويرى مفسروا المسيحية أن هذه الوصية كانت ردا على فقهاء الدين اليهودي، الذين أساءوا تفسير الوصية التي وردت في سفر اللاويين(١٢:١٩ و العدد ٣٠: ٢)، فقالوا ان القسم بالله ملزم، وأما القسم الذي لا يذكر فيه اسم الله غير ملزم، فكانوا يحلفون بغير اسم الله ليهربوا من الوفاء بوعودهم وأقسامهم، وخطورة الكذب أنها تشيع في المجتمع حالة من الصدام الاجتماعي، لأن الكذب مظلة لغمط حقوق الأخرين، وأكل أموالهم بالباطل، والمسيح أراد بوصيته اعادتهم الى تعاليم التوراة الأصيلة، ليضمن لهم عنصر من عناصر الاستقرار الاجتماعي.[٤]

٤. التسامح:(سمعتم قد قيل للقدماء عين بعين وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم:لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيسر فحول له الآخر أيضا، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا، ومن سخرك ميلا فاذهب معه اثنين، من سألك فأعطه. ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده).[٥]

وفي هذه التعاليم تجديد واستبدال لما ورد في التوراة، فقد أمرت التوراة موسى القضاة أن يحكموا بقانون العدالة(القصاص)العين بالعين والسن بالسن كما ورد في أسفار:(الخروج:٢١/ ٢٣، ٢٥) و(اللاويين:٢٤/ ١٩، ٢٠) و(التثنية: نفس بنفس. وعين بعين. سن بسن.. يد بيد. رجل برجل)[٦]

اعتبرت هذه الأقوال، بالنسبة لليهود في ذلك الوقت، متطرفة ومعثرة، فكيف يكون للمسيح مستعدا أن يحول خده الآخر، لا يمكن أن يكون هو القائد الحربي الذي أرادوه ليتولى قيادتهم في الثورة ضد روما..لقد اعتادوا تحت ظلم الرومان، على حب الانتقام والبغضة لأعدائهم.[٧]

٥. التكافل الاجتماعي:(احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم، والا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماوات، وأما أنت فمتى

(١) ينظر:تفسير موعظة الجبل (مصدر سالق)، ص١٣-١٤
(٢) شرح الكتاب المقدس ـ العهد الجديد، القمص تادرس يعقوب ملطي(شرح انجيل متى٥: ٧)كتاب ضوئي غير مرقم
(٣) انجيل متى٥: ٣٤ - ٣٧
(٤) ينظر:تفسير موعظة الجبل (مصدر سابق)، ص٣١
(٥) انجيل متى ٥: ٤٠ـ٤١
(٦) سفر التثنية ١٩: ٢١
(٧) ينظر:التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (مصدر سابق)، ص١٨٨٦

صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك، فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية).[1]

وهنا يذكر مفسروا العهد الجديد أن صدقة المؤمنين كما أرادها في موعظته أن تكون في الخفاء المطلق، حتى أن اليد اليسرى لا تدري ما فعلته اليد اليمنى. ووعد المسيح أتباعه أن الآب السماوي يكافيء من يعطي في الخفاء.[2]

٦.الارتقاء في العلاقات الاجتماعية:(لا تدينوا لكي لا تدانوا..ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك. وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها..يا مرائي أخرج الخشبة من عينك. وحينئذ تبصر جيدا أن تخرج القذى من عين أخيك).[3]

(استنتج مفسروا المسيحين من هذا النص ثلاث قضايا:

أ. الله ديان الجميع:فلا يجوز أن تدين الآخرين ادانة هدامة، حتى لا يديننا الله دينونة عادلة نستحقها.

ب. أن فينا عيوبا من السهل، ومن السهل أن ندين الناس لأننا نرى القذى في عيونهم، وننسى أن في عيوننا خشبة، ونحن عادة نضخم عيوب الغير، ولا نحاول أن نساعدهم ليصلحوها.

ج. هناك من يستحق فهناك أشخاص مرضى..نحتاج الى فطنة روحية للتعامل معهم).[4]

ومن خلال ما تقدم من نصوص كتابية سبقتها نصوص قرآنية رسمت أسس ومعالم المنهج الذي يقوم عليه بناء المجتمع، مع اختلاف بين وواضح لمنهج القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومنهج الكتاب المقدس الذي طالته ايدي الكتبة الأوائل من اليهود والنصارى، مما أضعف قيمة جميع ما فيه، لأن جميع ما فيه أصبح مظنة للشك والارتياب.

الخاتمة

كما معلوم أن لكل جهد خاتمة، وخاتمة بحثي هذا، هو جملة من الاستنتاجات والتوصيات، التي أجدها جديرة بالاهتمام، وأرى ضرورة مراعاتها، وتفعيلها في حياة المجتمعات، لتكون صمام أمام يلمس أفراد المجتمع آثاره في المحبة والأمن والاستقرار. وتجنى ثمار الانسجام الاجتماعي ومردوداته على الجميع بلا استثناء أو تحديد، وفيما يلي أهم هذه الاستنتاجات:

١. ان المعيار الرباني في النظرة الربانية الى عباده البشر هي من زاوية انسانيته، ودعا الى ضمان تحقيق كرامته، ولذلك جاء الخطاب الرباني موجها له في هذا الأطار، وألزم اتباع كل كتاب التقيد بتلك الأحكام الصارمة، ابتغاء لسيادة الفضيلة في المجتمعات، وهذا ما امتاز به القرآن الكريم دون التوراة والانجيل.

٢. تميز القرآن الكريم بسعة وشمول آياته التي جاءت لحفظ الضروريات الخمس – النفس، الدين، العقل، المال، النسل – وتأصيل روح الألفة والتعاون بين أفراد المجتمع، كون رسالة القرآن عالمية البعد، ورسالة الكتاب المقدس أممية (خاصة ببني اسرائيل).

(١) انجيل متى٦: ١ـ٤
(٢) ينظر: تفسير موعظة الجبل (مصدر سابق)، ص٣٨
(٣) انجيل متى٧: ١ـ٥
(٤) ينظر: تفسير موعظة الجبل (مصدر سابق)، ص٤٩

٣. ان التنوع الاجتماعي سنة ربانية قائمة، ولا يمكن لأحد تجاوزها، وحمايته أحد غايات الشرائع السماوية، وقد أفاض القرآن الكريم في تأصيله وحمايته من ضيقي النظر دعاة العنصرية، وألزم المؤمنين بوجوب الاقرار بهذا التنوع، والتعاطي معه بالقبول والاستجابة والخضوع.

٤. من خلال عرضنا لمحتوى القرآن الكريم والكتاب المقدس في ارساء أسس السلم، وحسن العلاقة بين أفراد المجتمع، وجدنا أن هناك قدر من التعارض بين التوراة والانجيل في بعض المواقف، مما يؤشر على ما أصابهما من تحريف أو تبديل، الا أن القرآن الكريم جاء مؤكدا لما صح فيهما، أو مصححا لما لا ينسجم مع المنهج الرباني، مما أضفى على وجوده بجانبهما قيمة عالية وفريدة، من خلال موقعه كحاكم على صحة ما ورد فيهما من عدمه.

التوصيات:

١. ضرورة تبني النظم الرسمية والحكومات مبدأ التنوع الاجتماعي وحمايته، واصدار القوانين والأحكام للحفاظ عليه.

٢. ضرورة تبني المؤسسات التربوية والتعليمية ترسيخ مبدأ روح الجماعة وتحقيق الانسجام فيما بين مكونات المجتمع وأطيافه المتعددة، وذلك من خلال المناهج التعليمية والفعاليات والنشاطات، وتشجيع المبادرات الفردية والجماعية بهذا الخصوص.

٣. ابراز الاعلام بمختلف قنواته ووسائله قضية التنوع الاجتماعي وأهميتها في حياة الأمم والشعوب، واستثمار معطيات الثورة التقنية في مجال الاتصالات لإبراز هذا الدور، ونشر مفاهيم المحبة والتسامح.

٤. تفعيل دور الأسرة في تنشئة الأجيال على التفاعل مع الآخرين بعيدا عن التعصب والكراهية.

٥. تبني علماء الدين ورجال المنابر من جميع الأديان خطابا يدعو الى المحبة، وتقوية اللحمة الوطنية فيما بين أطياف الشعب ومكوناته.

وبهذا أختم بحثي الذي بذلت في انجازه غاية جهدي، آملا أن ينال القبول، ويحقق الفائدة المرجوة منه، كمساهمة في احياء روح الانسجام، وتقوية الأواصر، وتمتين العلاقات بين أفراد المجتمع، وكذلك تقديم مساهمة علمية نافعة في مجال مقارنة الأديان.

أسأل الله تعالى السداد، وأن يلهمنا رشدنا، انه نعم المولى وهو القادر عليه، وهو ولي التوفيق.

❋ ❋ ❋

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الكتاب المقدس، توزيع: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، عمان ـ الأردن.
٣. الاتجاهات الفكرية المعاصرة
٤. ازمة نظام الرأسمالية والعولمة في مأزق، د.عبدالحي زلوم، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩م
٥. الاسلام عقيدة وشريعة، الامام الأكبر محمود

شلتوت، ط١٨، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٦. الاسلام في مواجهة التيارات المعاصرة، أبو الأعلى المودودي، ط٤، تعريب: خليل أحمد الحامدي، دار القلم، الكويت، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٧. الاسلام كبديل، د. مراد هوفمان، ط٢، ترجمة: غريب محمد غريب، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٨. الاسلام والأمن الاجتماعي، د. محمد عماره، ط١، دار الشروق، القاهرة ـ بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٩. الاسلام والآخر، من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟ د. محمد عماره، مكتبة الشروق الدولية.

١٠. الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، الامام القرطبي، تقديم وتحقيق وتعليق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، ١٩٨٠م.

١١. البداية والنهاية، أبو الفداء اسماعيل بن محمد بن عمر بن كثير القرشي المصري ثم الدمشقي، تحقيق:علي شيري، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٢. بنو اسرائيل – الجزء الثاني – التاريخ، أ.د.محمد بيومي مهران، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية – مصر، ١٩٩٩م

١٣. تأملات في موعظة المسيح على الجبل، الدكتور القس منيس عبد النور (كتاب ضوئي).

١٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المسمى(تفسير البيضاوي)، القاضي ناصرالدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق:محمد صبحي حسن حلاق و محمد أحمد الأطرش، ط١، دار الرشيد، دمشق و بيروت، مؤسسة الايمان، بيروت، ١٤٢١ه – ٢٠٠٠م

١٥. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، تعريب وجمع شركة ماستر ميديا، القاهرة – مصر

١٦. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء اسماعيل بن محمد بن عمر بن كثير القرشي المصري ثم الدمشقي، تحقيق:محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٧. تفسير الكتاب المقدس، جون ماك آرثر، ـ نسخة الكتاب المقدس، فاندايك البستاني الجديدة، ط٢، دار منهل الحياة، لبنان، ٢٠١٢م.

١٨. التلمود، آ.كوهن، ترجمة: جاك مارتي، نقله للعربية: د. سليم طنوس، ط١، دار الخيال، بيروت، ٢٠٠٥م.

١٩. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري الهروي، أبو منصور، ط١، تحقيق: محمد عوض رجب، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

٢٠. جامع البيان عن تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة

٢١. الجامع الصغير، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، جمع وترتيب:عباس أحمد صقر و أحمد عبدالجواد، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٩٩٤م – ١٤١٤ه.

٢٢.الجامع لأحكام القرآن، أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق:د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٤٢٧ه – ٢٠٠٦م.

٢٣.جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين.

٢٤. العلاقات الدولية في الاسلام، الامام محمد أبو زهره، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٥.علاقة الاسلام باليهودية رؤية اسلامية في مصادر التوراة الحالية، د. محمد خليفه حسن أحمد، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٨م.

٢٦.قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير د.بطرس عبدالملك و د.جون الكسندر طمسن، و أ.ابراهيم مطر، مؤسسة دار الثقافة.

٢٧.مباديء التعايش السلمي في الاسلام منهجا وسيرة، د. عبد العظيم ابراهيم المطعني، دار الفتح لأعلام العربي، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٨. مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ط٩، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٩.مشكلة الحرب والسلام، مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة وأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي، ترجمة: شوقى جلال وسعد رحمي ـ دار الثقافة الجديد بمصر، بدون تاريخ.

٣٠.معجم اللغة العربية المعاصرة، أ.د.أحمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٩ه – ٢٠٠٨م

٣١.الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، الرياض.

المواقع الالكترونية:

www.U.N.org

موقع الأمم المتحدة

www.St.Takla.

شرح الكتاب المقدس ـ العهد الجديد ـ القمص تادرس يعقوب ملطي